الحياة الاجتماعية في مدينة بلخ في القرن الرابع الهجري

دكتور/ عوض راشد عوض الجويسري
مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المنتدب
بالجامعة الدولية بالكويت

مقدمة

الناظر في المجتمعات الإنسانية يلاحظ وجود عناصر مختلفة، وطبقات متعددة، حيث إن المجتمع، يجب أن يكون متجانساً متحداً، ملتزما بعادات وتقاليد سامية، وأخلاق نبيلة، بحيث ترتقي حياة الناس، لتتكون منهم أمة متحضرة، فمجتمع بلخ من المجتمعات التي تنوعت عناصره، وتعددت طبقاته، وظهرت في أهله صفات متعلقة بالعادات والتقاليد، أو الأمور التي تحصل في الحياة العامة اليومية، والمتعلقة بالطعام والشراب، والمجالس، أو بالمنشآت العامة التي تتناسب مع طبيعة المجتمع من مساجد، وأسواق، وأربطة، فالمجتمع البلخي خلال العصر الغزنوي مر بفترة من عدم الاستقرار، لا سيما في العشر السنوات الأخيرة في أثناء الحروب التي قامت بين الغزنويين والسلاجقة، فأثرت بشكل كبير على الحياة الاجتماعية في بلخ وغيرها من مدن خراسان، فالحياة الاجتماعية في بلخ عبارة عن نتاج امتزجت فيه العناصر التركية بالفارسية المحلية القومية، وبعد الفتح الإسلامي أصبح هناك عنصر قوي في المنطقة، وهم العرب، وفيما يلي عرض مبسط لعناصر السكان في مدينة بلخ.

عناصر السكان: ضم المجتمع البلخي ثلاثة عناصر أساسية، كان لكل عنصر من هذه العناصر دوره الفعال في ازدهار الحضارة في بلخ، وهي العرب والفرس، بالإضافة إلى العنصر التركي الذي كان العنصر الحاكم، وعمل على تشكيل المجتمع، فكانت كل أركان الدولة الغزنوية بيد هذا العنصر، فسيطروا على بلخ وخراسان عامة، فهذه العناصر بالتفصيل هي:

(أ) **العرب:** هم العنصر الذي قامت عليه الدولة الإسلامية، فبعد أن انتشر الإسلام في الجزيرة العربية، قاموا بفتح الأماكن المجاورة، كالعراق، ومصر، والشام، ثم وصلوا إلى خراسان، التي لم يكن بينها وبين العرب صلة مباشرة، حتى وصلوا إلى بلخ، فبدأوا

يتوافدون عليها بغرض المشاركة في الحملات العسكرية [١]، وبين الطبري عدد أفراد القبائل العربية الذين وصلوا لبلخ، فتقريباً تسعة آلاف من القبائل الحجازية، وسبعة آلاف من بكر بن وائل، وعشرة آلاف من تميم، وأربعة آلاف من عبد القيس، وعشرة آلاف من الأزد، وسبعة آلاف من عرب أهل الكوفة [٢]، حيث قدم هؤلاء العرب إلى بلخ مع القائد العربي الأحنف بن قيس بعد فتح المدينة، ودخول أهلها في الإسلام، حيث إنهم استوطنوا في البداية منطقة البردقان، وكانت تبعد عن بلخ مسافة، وكانت في البداية خراباً [٣]، ثم بدأ يتزايد أعداد العرب في عهد أسد بن عبد الله القسري، والي خراسان الأموي الذي جعل بلخ قاعدة عسكرية للفتوحات الإسلامية، فقام في سنة ١٠٧ ه/ ٧٢٥م بنقل الجنود العرب إليها، وأقام لهم البيوت، والمساكن على مشارف المدينة، واستقدم العمال، والحرفيين للبناء، ثم قام بنقل الدواوين، والدوائر الحكومية إليها، فأصبحت بلخ مركزاً [٤] لتجمع العرب في خراسان، بالإضافة إلى القبائل العربية التي هاجرت لها مثل الأزد، وبني بكر، وربيعة، وبعض بطون اليمن [٥]، ولكنه في تسكينهم لم يأخذ بالنظام المعمول به في البصرة خوفاً من تحزب القبائل العربية بعضها لبعض فرفض نظام الأخماس [٦]؛ حيث خالط بين أفراد القبائل في السكن [٧]، وبالرغم من ذلك، بدأت القبائل العربية تتنافس على السلطة، وتعود إلى مسألة الحزبية في مستواها الواسع، حيث ظهرت تلك النزعة في الحروب التي كانت تدور مع الترك، وترجع في النهاية للدفاع عن الكيان العربي، فكانت تحدث روابط مشتركة أمام الخطر الخارجي، وظل العرب على ذلك طوال فترة العصر الأموي، ولكن اختلف الوضع في بداية العصر العباسي؛ حيث أخذ العنصر العربي يفقد كثير من الامتيازات، فكان الاعتماد على العنصر الفارسي، وكانت مشاركة العرب هامشية [٨]، ويظهر الدور البارز للعرب في أثناء العصر الغزنوي، واعتماد السلاطين عليهم، كقادة للجيوش، أو طلب العون لمساعدتهم في الحروب ضد السلاجقة، حيث شارك القائد محمد إبراهيم الطائي مع الكثير من القوات العربية السلطان محمود الغزنوي في حروبه ضد القرخانيين، وفي عهد السلطان

(١) حسين عطوان، الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي، ص٨٨؛ محمد حسن العمادي، خراسان في العصر الغزنوي، إربد مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، الأردن ١٩٩٧م، ص١٩٤.

(٢) تاريخ الطبري، ٧/ ١٢٢.

(٣) العمادي، خراسان، ص ١٩٤.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٧ / ٧٦.

(٥) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ٣، دار المعارف القاهرة، ١٩٦٠م، ص٢٤٥.

(٦) سميت بالأخماس لأنها كانت تضم كل خمس قبائل متقاربة في النسب. العمادي، خراسان، ص ١٩٤.

(٧) الطبري، تاريخ الطبري، ٤/ ٤٠.

(٨) العمادي، خراسان، ص ١٩٥.

مسعود اجتمع مع أبي الحسن عبد الجليل، فأشار عليه قائلاً: "نحن العرب لدينا إبل وخيول كثيرة، والسلطان في حاجة إلى المزيد منها للجيش الذي يعده، وكل ما لدينا هو من نعمه ومن دولته، فيجب إعداد سجل، وأن يفرض على كل منا شيء منها [١]، ولكن أبا الحسن عبد الجليل كان يطمع في منصب رياسة ديوان الرسائل، بعد وفاة أبي نصر بن مشكان، كما كان من ندماء السلطان، حيث قاد الفرقة العربية في حروب كثيرة للمحافظة على أمن الدولة الغزنوية، وآخرها معركة داندانقان التي كان للعرب دور كبير فيها [٢].

وأدى استقرار العرب في مدينة بلخ إلى تحولهم تدريجياً من حالة البداوة، وحكم القبيلة إلى حياة التحضر، فسرعان ما اندمجوا وتأثروا بالعادات والتقاليد في المدينة [٣] حتى أصبح العرب المسلمون من أرقى طبقات البيئة الاجتماعية [٤].

كذلك كان من النتائج المهمة لامتزاج العرب بأهالي بلخ دخول أهالي بلخ في الإسلام، وذلك نتيجة للفراغ الديني، فلقد كانت الديانات الفارسية القديمة الزرادشتية والمانوية والمزدكية ديانات فلسفية معقدة [٥]، بينما الدين الإسلامي مبادئه سامية وسهلة وشريعته ترفع من شأن الفرد والأسرة، ومنذ استقرار العرب في بلخ أصبح للمدينة طابع أخر، فأخذت الطقوس الدينية الشائعة تنشأ، وبدأ الدين الجديد يثبت في نفوس البلخيين، وبعد تزايد أعداد العرب في بلخ، قاموا ببناء الدواوين، والأماكن لهم، فسرعان ما اندمج العرب بالأتراك، وتأثروا بالعادات، والتقاليد الموجودة في المدينة.

(ب) الفرس: الفرس سكان الأقاليم الشرقية، كانوا من أهم العناصر السكانية الأساسية في بلخ، فبلاد فارس وخراسان، وإقليم الجبال، وبلاد ما وراء النهر، وكرمان وسجتان هي الموطن الأصلي للفرس[٦]، والفرس هم أهل الحضارة الفارسية القديمة التي سقت جذورها من الحضارة اليونانية القديمة [٧]، وكان لهم مقدرة إدارية كبيرة، ومهارة في إدارة الشئون الاقتصادية، وتنمية موارد الثروة[٨]، كذلك كان أعظم فضائل ملوك الفرس التي اشتهروا بها حسن السياسة، وجودة التدبير، وكانت لهم عناية بالغة بصناعة الطب،

(١) العتبي، تاريخ اليميني، ٢/ ٢٥٦؛ البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٦٥٤.

(٢) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص ٦٨٩ -٦٩٦.

(٣) عصام الدين عبد الرؤوف، الدولة العباسية، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٥م، ص ٢٠٥ – ٢٠٦.

(٤) عمر فروخ، العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر البيض المتوسط منذ الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، ط٢، ١٣٨٦ه/١٩٦٦م، منشورات المكتب التجاري بيروت، ص٤٣.

(٥) الشهرستاني، الملك والحل، ٢/ ٢٩.

(٦) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٦٢ – ١٨٧؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤٠١ – ٤٠٩.

(٧) البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، مكتبة المتنبي، ص٩٧ -١٠٦؛ شاخت بوزورث، تراث الإسلام، القسم الأول من الجزء الأول الفصل الخاص بالتطورات الاقتصادية تعليم أم. أ. توك، ص ٣٠٧ – ٣٠٨.

(٨) عصام الدين عبد الرؤوف، الدولة العباسية، ص٢٠٥.

ومعرفة ثاقبة بأحكام النجوم [١]، كذلك كان للفرس مذاهبهم الدينية [٢]، وقد تأثر العرب بالتقاليد الفارسية المتمثلة في الزي الفارسي وفى الاحتفال بالأعياد[٣]. كذلك أثر الأدب الفارسي في الشعر العربي [٤]، حيث بدأت مشاركة الفرس الفعالة، مع بداية الدولة العباسية، حيث ساعدوا بني العباس في انتزاع الحكم من بني أمية، فكانت لهم منزلة كبيرة في الدولة العباسية، حيث وصلوا للمناصب الكبرى، وأصبح على كاهلهم كل أركان الدولة، ولكنهم تأثروا كثيراً بما فعله بهم الخليفة هارون الرشيد، غير أنهم عادوا للمسرح السياسي مرة ثانية في الصراع بين الأمين والمأمون [٥]، واختلت موازينهم في عهد المعتصم الذي أبعدهم واعتمد على الأتراك [٦]، غير أن هذا التجاهل من المعتصم شجع الفرس على إقامة دول مستقلة، كالصفارية ٢٥٤ -٢٩٠ هـ/ ٨٦٧ – ٩٠٣ م، وبعدها الدولة السامانية ٢٦١ – ٣٨٩ هـ/ ٨٧٤ – ٩٩٩م، ولما استولى الأتراك على بلخ في عهد الدولة الغزنوية ساهم الفرس في إدارة الولايات التابعة للدولة، فازدهرت بلخ في عهدهم، وأصبحت منارة للعلوم والآداب والطب، وكان يأتي إليها الطلاب والعلماء من كل أنحاء العالم الإسلامي طلباً للعلم [٧].

(ج) الترك: كان الأمراء الترك يبسطون سلطانهم على سكان مدينة بلخ إبان الفتح العربي [٨]، وكان الترك أشبه بالبدو لأنهم لم يكونوا أهل مدينة أو حضارة، وقد أكسبتهم البداوة قوة في البدن، وخشونة في الطبع، وتميزوا بالقوة والبأس والروح العسكرية [٩]، لذلك أطلق عليهم الجاحظ [١٠]: "أعراب العجم؛ لأنهم لم تشغلهم الصناعات ولا التجارب ولا الطب ولم يكن همهم غير الغزو وركوب الخيل. . . ".

وقد امتنع الأتراك منذ بداية الفتح العربي لبلخ وخراسان عن اعتناق الدين الإسلامي الذي يمثل تأكيد سيادة العرب، فقاموا خلال العصر الأموي بحركات عصيان ضد سيطرة الأمويين الممثلة في والي خراسان [١١]، ولكن المؤرخين أجمعوا على أن

(١) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تحقيق حياة بو علوان، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص ٣٣ – ٥٩ – ٦٣.

(٢) أ. ج. أريدي، تراث فارس، نقله إلى العربية محمد كفافي، وأحمد الساداتي، السيد يعقوب بكر محمد صقر خفاجة، واشترك في مراجعته، يحي الخشاب، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م، ص٣.

(٣) حسن أحمد محمود، الإسلام والحضارة العربية، ص٨٧.

(٤) حسن أحمد محمد، العالم الإسلامي في العصر العباسي، ط٥، ص٩٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ٦/ ١٤٦.

(٦) العمادي، خراسان، ص١٦٨.

(٧) نفسه.

(٨) النرشخي، تاريخ تجاري، ص ٦٤ – ٧٢.

(٥) عصام الدين عبد الرؤوف "، الدولة العباسية، ص٢١٧؛ عطية القومي، الحضارة الإسلامية، دار الثقافة العربية، ص ٨٨.

(١٠) الجاحظ، أبو عمرو بن بحر الجاحظ، ثلاث رسائل لأبي عثمان الجاحظ، رسالة إلى الفتح بن خاقان في مناقب الترك، وعامة جند الخلافة، طبعة ليدن ١٩٩٨م، ص ٢٩٠؛ عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص٢١٧.

(١١) الطبري، تاريخ الرسل والمملوك، ٦/ ٢٧٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤ / ٥٤٦ – ٥٦٩؛ سعيد نفسي، أحوال وأشعار رودكي، ص٢١٦.

ظهور العنصر التركي في الحياة العامة في المجتمع الإسلامي كان مع بداية حكم الخليفة المعتصم ٢١٨ ه، فعمل على المعتصم على تكوين جيش من الترك لما اتصفوا به من القوة والبأس [١]، ولكنهم ظهروا قبل ذلك في العصر الأموي في بيوت سادات العرب على شكل خدم، حيث كان الأمراء من العرب يأتون بهم من بلاد ما وراء النهر، كخدم وجوارٍ، كذلك وقع الكثير منهم في الأسر في أثناء الحروب، ومنهم من كان يرسلهم أمراء بلاد ما وراء النهر كهدايا [٢]، وبلغوا منزلة كبيرة في الدولة السامانية، وعلى أثر تلك المنزلة قاموا بتأسيس الدولة الغزنوية وهي دولة تركية خالصة، واهتم الغزنويون بهم، حيث كان لازماً عليهم أن يقضوا حاجات غلمانهم الأتراك الذين كانوا أساس الجيش، فقاموا باعدادهم جيداً، فاكتسبوا قوة جسدية، وخشونة في الطبع وحماساً حيث أصبحوا قادة الجيوش، فظهر منهم القادة العظماء وبالتالي استطاعوا الحفاظ على الدولة وأمنها واستقرارها [٣]، غير أن بعضهم تمرد على الدولة وتحالف مع القوى المعادية لها[٤]، والبعض منهم تعصب للمذهب السني مذهب الدولة الأساسي، وقاموا بالوقوف في وجه المذاهب الأخرى مثل المذهب الشيعي، والمذاهب الأخرى التي تميل للفلسفة والجدل، مثل المعتزلة تلبية لرغبة السلطان محمود الغزنوي الذي حمل على عاتقة محاربة تلك المذاهب، حيث نكلوا بالشيعة والمعتزلة، وأحرقوا كتبهم، ولاحقوهم في كل مكان، وصار السلطان مسعود الغزنوي على مسيرة أبيه، فقام بإعدام الوزير حسنك حينما علم باعتناقه مذهب القرامطة [٥]، ولما انتشر الإسلام بين الترك خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين تأثروا بالإسلام من جميع جوانبه الدينية، والحضارية، والمدنية[٦].

وعلى هذا يتضح أن العنصر التركي، كان هو العنصر صاحب الكلمة العليا، والمسيطر على مقاليد الأمور في بلخ خلال العصر الغزنوي.

ونستخلص من هذا أن العناصر الثلاثة، عملوا جاهداً على نهضة بلخ وتقدمها بسبب أخذ كل عنصر من العناصر من عادات وتقاليد العنصر الآخر وقبول كل منهم للآخر بفضل اتباعهم لتعاليم الإسلام الحنيف.

(١) محمد جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص٢٢.
(٢) محمد جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص٢١.
(٣) عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ الإسلام، ص٥٨.
(٤) العمادي، خراسان، ص١٦٨.
(٥) عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ الإسلام، ص٥٨.
(٦) بارتولد، تاريخ الترك، ص٥٧ – ٥٨ –٥٩.

طبقات المجتمع:

تميزت بلخ بظهور ثلاث طبقات شملت الطبقة الأولى الأمراء ورجال الدولة وأهليهم، وشملت الطبقة الثانية العلماء والأدباء، وعامة التجار، والموظفين، وأصحاب الملكيات من الأراضي " الدهاقين "، وشملت الطبقة الثالثة العامة من الفلاحين، والعمال والباعة، وأهل الحرف البسيطة

الطبقة الأولى الطبقة الحاكمة والأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة:

كانت هذه الطبقة تعيش في رخاء، وترف لكثرة ما كان يصب في مجورها من الأموال (١)، وقد اتسمت معيشتهم بالبذخ فسكنوا القصور، والمنازل الفخمة، وكان لهم مجالس للطرب والغناء والشراب واللعب (٢)، أما ملابس هذه الطبقة فكان السلطان الغزنوي يرتدي قباء من الديباج المطرز بالذهب الذي يجفي أكثر قماش القباء، ويعلو رأس السلطان تاج ضخم لا يستطيع أن يرتدي هذا التاج في تحركاته؛ لذلك صار يرتدي بصفة دائمة القلنسوة ذات الركنين (٣)، واستفادت هذه الطبقة من مكانتها في الدولة، وعاشت في غنى فاحش، وقامت بجمع ثروات طائلة، مستغلين بذلك نفوذهم، وسلطانهم، فالبتكين على سبيل المثال، الذي أصبح من أكبر أثرياء الدولة الغزنوية، حيث طالت فترة حكمه حتى قاربت الخمسين عاماً ، وكان من المقربين لحكام الدولة السامانية جمع فيها ثروة عظيمة ذكر مقدارها في السابق (٤).

فإذا كان هذا هو حال الأمراء قبل الوصول للحكم، فلعل هذا أقل بقليل، مما غنمه السلطان محمود الغزنوي من أموال طائلة، غنمها في أثناء حروبه في بلاد الهند، وأيضاً ما كان يجمعه من الأقاليم التي خضعت لحكمه، وكذلك السلطان مسعود، حيث قاموا بتشييد القصور الفخمة، التي كانت مليئة بالذهب والفضة والجواهر، وأفضل الأثاث، كما كانت مليئة بالجواري والغلمان، وكانت تعقد فيها حفلات متعددة تمد فيها الولائم وينثر فيها الذهب والدنانير والدراهم (٥)، وأيضاً ما حصل في حفل زفاف السلطان مسعود الغزنوي على بنت والي جرجان صرفت مئات الآلاف من الأموال، ومن مظاهر البذخ أن العروس زفت على سرير كأنه بستان ارضيته كانت من نسيج الفضة المزخرفة اجتمعت عليه ثلاث أشجار من الذهب وأوراقها من الفيروز والزمرد،

(١) شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، ص٢٥٢.

(٢) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٣٠٩؛ عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ٢ / ٨٧.

(٣) بدر عبد الرحمن، رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية، ط١، ١٩٨٧ م، مكتبة الانجلو المصرية ص١٣٩.

(٤) نظام الملك، سياست نامة، ص١٥١.

(٥) العمادي، خراسان ص ١٧١.

وثمارها من أنواع الياقوت [١]، وكذلك الهدايا التي كانت تتبادل بين السلطان محمود الغزنوي وقدرخان بأنها كانت من الأنواع الغالية النادرة، وكانت عبارة عن الأواني الذهبية والفضية والجواهر النفيسة والثياب الجميلة، والطرائف البغدادية، والأسلحة القيمة والجياد الغالية بسروجها الذهبية، وعصيها المرصعة بالجواهر وغيرها الكثير [٢].

اما بالنسبة للوزراء فكانت أحوالهم تقارب السلاطين من حيث الغنى الفاحش، فمثلاً الوزير أحمد حسن الميمندي كان يملك الكثير من الأموال والضياع، فبلغت ثروته حينما صادرها السلطان محمود الغزنوي سبعين ونيف ألف ألف ألف درهم [٣]، ولم يكن الوزير حسنك بأقل حظاً من سابقه، حيث كانت له ثروة طائلة، فقد بنى القصور الكثيرة والبيوت، والتي صادراتها الدولة بعد إعدامه، وصارت هذه البيوت مكاناً لاستقبال وفود الدولة وقصوراً للاحتفالات في المناسبات والأعياد، وفي أحدها تم إقامة مراسم زواج السلطان مسعود، وصار على مسلك حسنك الكثير، من الأمراء والأعيان في الدولة[٤].

أما الملابس التي كان يرتديها هذه الطبقة فكانت تختلف حسب مكانة صاحبها في الدولة فمثلاً الوالي كان يرتدي خلعة تشتمل على قلنسوة ذات ركنين ولواء وحلة مطرزة [٥]، وبالنسبة للامراء كانوا يرتدون الطيالي والأقبية والأقمشة الموشاة بالذهب والفضة والدراعة [٦]، واختلف الأمر مع قواد الجيش، حيث كانوا يرتدون خلعة تحتوي على المنطقة الذهبية [٧]، وقلنسوة ذات ركنين، وكلما زاد عدد أركان القلنسوة زادت مكانة صاحبها [٨].

الطبقة الثانية العلماء والأدباء: اتصفت هذه الطبقة بطبقة الخاصة، لارتباطها بالطبقة الحاكمة والأمراء والوزراء، ومما اتصف به هذا العصر تشجيع العلم والعلماء، والنهوض بالعلم وتكريم العلماء كثيراً، لذلك كان العلماء يعيشون عيشة هنيئة، وكانت لهم مكانة كبيرة في مدينة بلخ وغيرها من المدن التابعة للدولة الغزنوية، فشغلوا مناصب مرموقة؛ فمنهم القضاة، وائمة المساجد، وكذلك أصحاب الطرق، والمذاهب الدينية، والشعراء والكتاب والأدباء، فهم بذلك أصبحوا أعلى طبقة فكرية بالدولة، واعتمدت عليهم الدولة في محاربة بعض الطوائف ذات الأفكار الفاسدة كالقرامطة، والزنادقة،

(١) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٤١٨ – ٤٢٤.
(٢) الكرديزي، زين الأخبار، ص٣٠٤ – ٣٠٥.
(٣) العمادي، خراسان، ص ١٧٤.
(٤) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٤١٨ – ٤١٩.
(٥) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٤٥٧.
(٦) دوذي، القاموس المفصل لأسماء الملابس، ص١٤٦.
(٧) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٢٩٥.
(٨) بدر عبد الرحمن، رسوم الغزنويين، ص١٣٩.

والإسماعيلية، والباطنية، ووقفوا كذلك أمام زحف مذاهبهم الهدامة [١]، وبالتالي أصبحت هذه الطبقة تعيش حياة مرفهة كلها زينة وأناقة؛ فكل المتصرفين في أعمال الدولة كانوا يعيشون معيشه بلخ؛ فقد كان للقضاة والفقهاء والعلماء رواتب يقدرها الأمراء، ويدخل في هذه الطبقة عمال الحسبة، والبريد، ودواوين الجيش كما كان للعلماء والقضاة منزلة كبيرة [٢]، وكان أمراء الدولة الغزنوية يبذلون للعلماء والأدباء الأموال من أجل تشجيعهم؛ مما ساهم في ثراء العلماء والأدباء في الدولة الغزنوية [٣].

أما ملابس هذه الطبقة، فكانوا يرتدون الطيالس [٤] من فوق العمائم في الشتاء ثم يلبس دراعة [٥] فوق الطيلسان ولا يغطي الرأس، أما ثياب الجند، فتبدو بأكمام ضيقة، ولأهل بلخ عادات في اللبس صيفاً وشتاءً، ويلبسون الميازر لدخول الحمامات [٦]، ويعرف الكتاب بالقلنسوة التي تغطيها العمامة من جوانبها [٧]، أما أهل الذمة فقد تميزوا عن سائر أفراد المجتمع بلبس الزنانير[٨].

الطبقة الثالثة: التجار والصناع والمزارعين: كانت الدولة الغزنوية مزدهرة اقتصادياً، لذا أصبحت طائفة التجار ذات مكانة عالية في الدولة لارتباطها بالطبقة الحاكمة والأمراء والوزراء، لتعاملهم في السلع الغالية والبضائع الشرقية النادرة، فأصبحوا أثرياء وعاشوا عيشة الترف، لذا اتصفت هذه الطائفة من التجار في بلخ بعلاقات مع التجار في مختلف مدن خراسان كنيسابور وغيرها من المدن الكبرى، ليكونوا على معرفة تامة بالجديد من تلك البضائع، ومقربين من أسواقها، أما النوع الثاني من التجار، فكانوا صغار التجار والذين كانوا يقومون بتأمين حاجات الناس اليومية من السلع، لذا فكان لهم ارتباط بالأسواق [٩]، وكان التجار في المنزلة التي تلي منزلة العلماء لذا اتسع نفوذهم في الدولة، ولكن لم يصلوا إلى منزلة الطبقة الحاكمة والوزراء وكبار رجال الدولة من الناحية الاجتماعية، ولكن وصل الأمر إلى أن السلطان محمود الغزنوي

---

(١) شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، ص٥٠٤؛ العمادي، خراسان، ص ١٧٦.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٠ / ١٠٩ – ١١٠؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان ٢/ ٥٢٢، ابن النديم، الفهرست، ص١٧٠.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٢٨؛ آدم متز، الحضارة الإسلامية، ١/ ٣٢٤.

(٤) الطيلسان: كساء مرور أخضر لحمته وسداه من صوف يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ، وهو لباس العجم، ويلبس على الكتف الجواليقي. أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضرت، ٥٤٠هـ– ١١٤٥م، المعرب من الألفاظ الفارسية، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر، مصر ١٣٨٩هـ، ص٢٧٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ٧ / ٤٣١.

.POZy: PICTIONNAIRE DETTAILLE Desnetments des Analses. pibrairie puliden p. ٢٥٣

(٥) الدراعة، مفرد والجمع دراديع: جبة مشقوقة الصدر، وتصنع من الصوف. الزبيدي، تاج العروس، بنغازي، ليبيا، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م، ٣٢١.

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٢٧ – ٣٢٨.

(٧) الإصطخري، المسالك الممالك، ص١٣٨.

(٨) الثعالبي، يتيمة الدهر ٤/ ٣٥٢. والزنار هو قطعة من القماش لف حول الخصر ليعرف بها النصراني، والزنار لباس خاص بأهل الزمة. الزبيدي، تاج العروس، ٤ / ٢٤٣.

(٩) العمادي، خراسان، ص١٨٢.

اقترض من بعض التجار كما ذكر ذلك نظام الملك، وبين ذلك سابقاً، وكذلك شكوى أحد التجار من الأمير مسعود الغزنوي وتعنيف السلطان محمود له إلى أن رد الدين الذي عليه للتاجر (١)، أما عن مستوى معيشة التجار، فكان عالياً حتى بعض صغار التجار، وتميز بعض التجار بالثقافة لاختلاطهم بالعلماء (٢).

أما عن ملابسهم، فكان التجار يتفننون في ألوان الملابس من الطيالس، والعمائم والخفاف، والقمصان، والجباب والمبطنين، وزيهم كزي أهل العراق (٣).

أما عن الصناع والمزارعين، قد ارتفعت مكانتهم في بلخ في عهد الدولة الغزنوية، وبالرغم من اختلاف أجناسهم، فإنهم أصبحوا كتلة واحدة يدافعون عن حقوقهم، وكذلك التقدم الصناعي عمل على ارتفاع مكانتهم لاحتياج العمل لهم، وشجعت الدولة الغزنوية على ذلك، ولذا أنشأت أماكن مخصصة لهم للسكن فيها، فذكر ابن حوقل قائلاً: " أما الخانات فكان يسكنها أهل المهن، وأرباب الصنائع بالدكاكين المعمورة والحجر المسكونة، والحوانيت المسكونة بالصناع، كالقلانسيين الأساقفة والبزازين والخرازيين والحباليين إلى غير ذلك من ذوي الصنائع منهم "(٤).

غير أنهم لم يكن لهم نقابات منظمة كالموجودة في الوقت الحاضر، ولكن الدولة الغزنوية كانت مراقبتهم لهم من خلال المحتسب الذي كان يراقب جودة عمل هؤلاء للبعد عن الغش والتدليس في سائر أمور الصناعة (٥).

أما عن مستوى معيشتهم، فكانت أقل بكثير من مستوى معيشة التجار، بسبب أن مواردهم كانت محدودة، فهم ليسوا فقراء ولا أغنياء(٦).

الطبقة الرابعة العامة: هي طبقة العامة، وتتكون من الفلاحين والعمال والباعة المتجولين، وأهل الحرف البسيطة، التي كانت تعمل في الصناعات والتجارات الصغيرة، وفى خدمة أرباب القصور، وكانت حياتها كلها عرقاً وعنتاً ومشقة (٧)، ولم يكن لهم مكانة خاصة في المجتمع، فقد وصفهم البعض بالجهل في أمور الدين، والنواحي الثقافية، وأطلق عليهم المؤرخون ألفاظاً مختلفة مثل السفلة والغوغاء والحرافيش، وغيرها من الألفاظ (٨)، أما عن حياة العامة في مدينة بلخ فلا نستطيع أن نعطي صورة دقيقة

(١) نظام الملك، سياست نامة، ص٢٩٦.

(٢) مايحة رحمة الله، الحالة الاجتماعية في العراق، بغداد ١٩٧٠، ص٥٠.

(٣) الإصطخري، المسالك والممالك، ص ١٣٨.

(٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٦٢ – ٣٦٣.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٧١ – ٢٧٢؛ النرشحي، تاريخ بخارى، ص٣٧.

(٦) الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، مطبعة المؤيد دمشق، ١٣١٨ ه، ص٤٣.

(٧) شوقي ضيف، عصر الدول والأمارات، ص٤٠٥ – ٥٠٥؛ جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٦–٧.

(٨) العمادي، خراسان، ص١٨٩.

لحياتهم، وذلك لأنه لدينا تعابير قليلة، وغير محددة، فأما عن أزياء عامة الرجال ببلخ، فكانوا يرتدون السروال الفضفاض الذى ينسج من القطن الأبيض، وقميصاً طويلاً من النسيج نفسه، كما يلبس فوق القميص في الشتاء صدرية من الصوف أو الجلد وتزركش أحياناً، وتحلى أحياناً أخرى، وعلى الرأس توضع العمامة التي تتدلى أحياناً على جانب رأس صاحبها، (١) ويلبس البلخي في الشتاء الألبسة الصوفية الثقيلة، والعبارات، والمعاطف، وتكون من الصوف أو الفراء أو الجلد، وهذا لبس أهل الريف (٢)، أما أهل المدينة فكانوا يرتدون القمصان والدراعات والسراويل البيضاء المزيلة (٣)، والعمائم من فوق ملونة، وكانوا يلبسون الخف، والنعال(٤).

أما عن طعامهم، وخاصة أن أغلبهم من الفقراء، فكان عبارة عن خبز الشعير والدبس والخل، مع القليل من التمر، وكان يأخذون الصدقة في المناسبات، وتعطى لهم أيضا صدقات السلطان، وكبار رجال الدولة (٥).

أما النساء عامة فكن يرتدين المطرف، وهو رداء طويل له طرف، والقمصان، والنقاب، وكان يرتدينه المسلمات من بلخ كما لبسن الزرابيل، وهو نوع من الخفاف(٦).

كان البياض هو اللون الخاص بالوزراء، والسواد كان خاصاً بالحجاب، وكانت الملابس تعبر أيضاً عن بعض عادات أهل بلخ الاجتماعية؛ فكانوا يلبسون اللون الأبيض عند العزاء(٧).

الطبقة الخامسة الغلمان والرقيق: ارتفع شأن هذه الطائفة في المجتمع فهم قامت على أكتافهم الدولة الغزنوية بداية من البتكين وسبكتكين الذي يعد مؤسس الدولة الغزنوية(٨)، ثم توافد على بلخ وغيرها من مدن خراسان الكثير من الجواري والغلمان من بلاد ما وراء النهر على سبيل الهدايا من الملوك أو من أسواق الجواري الموجودة في سمرقند، حيث أصبح بعضهم مقرباً من السلطان محمود الغزنوي، وهو إياز بن أويماق، الذي يقال: إنه كان غاية في الجمال ومحبوباً من السلطان، فكان يخدمه ويحضر

(١) محمود شاكر، أفغانستان، ص٧١.
(٢) نفسه.
(٣) ياقوت، معجم الأدباء ٣/ ٢٥٤ – ٢٥٥؛ عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة، ص ١٠٦.
(٤) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٨٣.
(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ٧ / ١٦٢.
(٦) عبد المنعم ماجد، الحضارة الإسلامية، ص١١٩ و١٧٨.
(٧) البيهقى، تاريخ البيهقى، ص١٤.
(٨) نظام الملك، سياست نامة، ص١٤٤– ١٤٥.

مجلس شرابه ويجالس ندمائه [١]، ومع هذا فإن الكثير من هؤلاء الغلمان أصبحوا قادة عظاماً حققوا النصر للدولة الغزنوية مثل أحمد ينالتكين، وشباسي، وبكتغدي[٢].

أما طبقة الرقيق، فقد اتسمت بالجمال والذكاء، والطاعة والهيبة لما يلاقونه من تدريبات في سمرقند قبل بيعهم [٣]، وعن عملهم، فكانوا يقومون بالخدمة في بيوت الأمراء والأغنياء ورجال الدولة، وكان لدى السلاطين الكثيرون منهم؛ فمنهم من يقومون بحراسة النساء وخدمتهن ويسمى بالخصيان، ومنهم من يقومون بحراسة القصور ويطلق عليهم الفراشيون، يتخذون من أحدهم رئيساً عليهم، وكان ديوان مراقبة نفقات الأسرة الحاكمة يديره رجل منهم حساس، وكان يقوم أيضاً بالإشراف على المطبخ والإصطبلات، وعلى مواقع التسلية، وكان مسئولاً عن الخزانة الملكية الخاصة، وتوزيع التموين ومرتبات الموظفين العاملين في القصر[٤].

الرقيق [٥]: من العناصر التي تكاثر عددها في بلخ [٦]، وذلك لتعددُ مصادر الرق، وهى الحرب والفقر، ومنهم المجلوبون بالخطر والغارات من بلاد أخري، وثمة مصادر أخرى؛ للرق فكان بعض العمال والولاة يؤدون جزءاً من خراجهم من الرقيق، كما أن بعض أهل الكتاب كانوا يقدمون أولادهم لتسديد ما عليهم من الجزية [٧]، وكان الرقيق يجلب من بلاد الترك والديلم والأكراد، وبعض الرقيق التركي من أفضل أنواع الرقيق [٨]صناعة يعيشون منها [٩]، واشتهرت تجارة الرقيق في بلخ حتى سمي شارع كامل باسمهم " شارع النخاسين "[١٠].

ومدح حكام الدولة الصفارية الرقيق التركي قائلين: " إنهم ممتازون وأوفياء، وقد تمرسوا على الصعوبات والمطاردة من خلال حياتهم القاسية في السهول التركية[١١]، لذا برعوا في أساليب الحرب والقتال [١٢]، وازدهرت تجارة الرقيق منذ الفتح الإسلامي،

(١) العمادي، خراسان، ص١٩٢.

(٢) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٤٢٤ – ٤٣٠.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٨٧؛ آدم متز، الحضارة الإسلامية، ١ / ٢٨٢.

(٤) عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٦٧ه / ١٩٤٨ م، ص٦٣.

(٥) الرق: هو من يقع أسيراً في حرب مشروعة؛ فيفقد أهليته، ويكون مملوكاً لمن يؤول إليه، وهذا العجز مؤقت يزول بالفداء أو العتق. عبد السلام الترماثيني، الرق ماضيه وحاضرة، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٣، نوفمبر ١٩٧٩م، ص٣٢– ٣٦.

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٧٢ – ٢٧٣.

(٧) عبد السلام الترماثيني، الرق ماضيه وحاضره، ص٣٥.

(٨) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٩٨؛ سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٧١.

(٩) سرور، المرجع السابق، ص١٧١؛ آدم متز، الحضارة الإسلامية، ١/ ٢٨٥، ٣١٨.

(١٠) السمرقندي، جهاز مقالة، ص٦٢.

(١١) آدم متز، الحضارة الإسلامية، ١/ ٢٩٥؛ شاخت وبوزورث، تراث الإسلام، القسم الأول الجزء الخاص بآسيا الوسطي، ص ١٨٠ – ١٨٣؛ عصام الدين عبد الرؤوف، الدولة العباسية، ص٢١٧.

(١٢) مصطفى عباس الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٢م، ص ٢٨٥.

ولكنها بلغت ذروتها في عهد الدولة السامانية [١]، فكانت الحكومة السامانية تسيطر على تصدير الرقيق، وتفرض ضريبة على عبور جيحون تتراوح بين (٧٠: ١٠٠) درهم عن كل واحد من الرقيق الأتراك، وتطلب بالإضافة إلى ذلك رخصة لمرور كل واحد من الغلمان الأتراك عبر أراضيها [٢]، واشترك الرقيق ضمن النظام العسكري، ووصلوا إلى أعلى مراتب القيادة، حتى أصبح الرقيق حكاماً لولايات مستقلة مثل البتكين وسبكتكين الذي يعتبر المؤسس الفعلي الدولة الغزنوية [٣]، كما كان للجواري نشاط ملموس في الحياة الاجتماعية بمدينة بلخ أكثر من الجرائر [٤]، فامتلأت قصور الخلفاء والأمراء في العصر العباسي بالجواري اللاتي تميزن بالجمال الظاهر والأخلاق السمحة [٥]، وتوافدت الجواري على بغداد حتى أصبح الجواري لا يعبرون النهر إلا بعد موافقة السلطان الغزنوي [٦]، وقد رخصت الغلمان والجواري في عهد السلطان محمود لدرجة أن الغلام، أو الجارية كان يباع بدينار واحد [٧].

الطبقة الخامسة أهل الذمة: من الطبقات التي انتشرت في بلخ أهل الذمة [٨] من "يهود ونصاري"، وقد تمتع اليهود والنصارى بالتسامح الديني في بلخ، وكانوا يقيمون شعائرهم في أمان، وهم على النحو التالي:

اليهود:

ذكر المقدسي [٩] " أن بإقليم خراسان، وما وراء النهر يهوداً كثيرين "، وكان اليهود يتمتعون بالكثير من التسامح، ويقيمون شعائرهم في أمان " [١٠]، فكان الخلفاء يصدرون مراسيم يقرون فيها انتخاب رئيسهم، ويتركون له حق القضاء بين رعاياهم [١١]، وكان لليهود رئيس خاص بهم يطلق عليه ملك يدفع أهل ملته الضرائب، وكان نصف هذه الضرائب يعطي لرئيسهم، والنصف الآخر يرسل إلى بيت مال الدولة [١٢]،

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٤٠؛ الإصطخري، المسالك والممالك، ص١٧٨.

(٢) المقدسي، المصدر السابق، ص ٣٤٠؛ آدم متز، الحضارة الإسلامية، ١/ ٤٩٥.

(٣) سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢١.

(٤) عصام الدين عبد الرؤوف، الدولة العباسية ص ٢٠١.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٣٦؛ الجاحظ، مناقب الترك، ص٣٥٧؛ أحمد أمين، ظهر الإسلام، ص٣٥ – ٣٦.

(٦) عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص٢٠١؛ عطية القوصي، الحضارة الإسلامية، ص٨٧.

(٧) ميرخواند، روضة الصفا، ص١٦٤.

(٨) الذمة: في اللغة هي العهد والضمان والأمان، وأهل الذمة هم اليهود والنصارى الذين يعيشون في بلاد الإسلام. ابن منظور، لسان العرب، ص٤١٧٦.

(٩) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٢٢.

(١٠) جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٠٨؛ شوقي ضيف، عصر الدول والأمارات – الجزيرة العربية – العراق – إيران، ط٣، دار المعارف القاهرة، ص٢٦١.

(١١) عطية القوصي، الحضارة الإسلامية، دار الثقافة العربية، ص ٩٧ – ٩٨.

(١٢) الذهبي، دول الإسلام، منشورات مؤسسة الأعلام، بيروت لبنان، ١٤٠٥ه/١٩٨٥م، ص٥٣؛ جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص ١٠٨ – ١١٠.

ولعب اليهود دوراً كبيراً في التجارة الخارجية والداخلية لمدينة بلخ، فقد كانت الحرف التي ترتبط بالفضة تكاد تكون بكاملها في أيدي اليهود الذين يعملون لحسابهم، أو لحساب بعض المسلمين كذلك معظم أعمال الصيرفة كانت في أيدي اليهود [١]، فقام اليهود بتطوير بعض عقائدهم، حتى أصبحوا أكثر عددا من النصارى في بلخ بالإضافة إلى تسمية مدينة بأكملها باسم اليهودية وعرفت باسم ميمنة تقع بين باميان والغور[٢].

النصارى: من عناصر السكان التي سكنت مدينة بلخ النصارى، ولكنهم كانوا قليلين [٣]، فقد دخلت المسيحية النسطورية إلى بلخ عن طريق أهل فارس، حملها المبشرون إليها [٤]، ونظر رجال الكنيسة النسطورية إلى الإسلام نظرتهم إلى دين قوم يشتركون معهم في الأصل السامي واللغة السامية، وكانوا يفضلون العرب على عباد النار [٥]، وكان لرؤساء النصارى مكانتهم الرسمية في ظل الدولة الإسلامية، فكتب المسلمون لأهل الذمة عهوداً كثيرة، عاهدوهم فيها على حمايتهم، وتسهيل أعمالهم في مقابل ما يدفعونه من الجزية [٦]، وسمح لأهل الذمة بمزاولة المهن والحرف والأعمال التي تناسبهم، كما كانت لهم حرية السكن والانتقال، وضمنت لهم الكيان الخاص في ظل الدولة الإسلامية [٧]، كما لهم حرية العقيدة والعبادة في نفس الوقت، وخلصهم من أعظم بلاء كانوا يعانون منه، وهو الاضطهاد الديني [٨]، الذي كان أبرز طابع للعصر الذي سبق ظهور الإسلام في ظل دولة الفرس، ومن ثم فقد عاش أهل الذمة في بلخ حياة هادئة وآمنه في ظل الدولة الإسلامية، وهناك عهود كثيرة بين العرب، وأهل الذمة كتبت في القرن الهجري، كما كتب خلفاء بني العباس عهوداً لولاة أمورهم في الإمارات التابعة لولاياتهم، لإعطاء أهل الذمة حقوقهم، ومن تلك العهود ما عهد به هارون الرشيد إلى هرثمة بن أعين والي خراسان جاء فيها: " هذا ما عهد هارون الرشيد أمير المؤمنين على هرثمة بن أعين حين ولاه ثغر خراسان، وأعماله ومزاجه " أمره بتقوى الله وطاعته، ورعاية أمر الله، ومراقبته وأن يجعل كتاب الله إماماً في جميع ما هو سبيله فيحل حلاله ويحرم حرامه، وأن ينظر في حقوق المسلمين والمعاهدين، ويرد إلى كل

(١) سعيد نفسي، أحوال وأشعار دوركي، ص٢١٦؛ بارتولد، تركستان، ص٣٠٩؛ ألبرت هوراني، تاريخ الشعوب العربية، ترجمة نبيل صلاح الدين، مراجعة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م ١ / ١٩٤.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ٥ / ٢٤٥.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٨٧.

(٤) حسين مجيب المصري، صلات بين العرب والفرس والترك، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٩م، ص ٢٨٣ – ٢٨٤.

(٥) حسين مجيب المصري، المرجع السابق، ص٢٨٣؛ محمد عبد الحي شعبان، الثورة العباسية، ترجمة عبد المجيد حسين القيسي، دار الدراسات الخليجية، ص ٤٣.

(٦) حسين الحاج حسن، النظم الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٧م المؤسسة الجامعية، ص١١٢.

(٧) حسين مجيب المصري، صلات بين العرب والفرس والترك، ص٢٨٥.

(٨) محمد ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، مكتبة دار التراث، ط٥، ١٩٨٥م، ص١٦٤.

ذي حق حقه"[١]، وقد استعان سلاطين الدولة الغزنوية بأهل الذمة، فكان للسلطان مسعود الغزنوي طبيب يهودي ومن خاصة أطبائه يعقوب دانيال، فهو من أشهر ثلاثة أطباء في بلاطه، وكذلك الطبيب المسيحي أبو سعد موصلي، الملقب ببهرام شاه [٢].

الطبقة السادسة المذاهب والطوائف الدينية في مدينة بلخ: قبل أن يدخل الترك في الإسلام كانوا يدينون بأكثر من دين على مر العصور [٣]، فكان للشعب الإيراني عامة مذاهبه الدينية القائمة على الخرافات التي تختلف حسب البيئات [٤]، فكانت البوذية[٥] منتشرة في بلخ وكل الإمبراطورية الساسانية، كذلك ظهرت ديانات أخرى مثل الزرادشتية، والمانوية [٦]، والمسيحية [٧]، وكان المجوس [٨] يعيشون بأعداد كبيرة في بلخ، وقراها لأن بها دار ملوكهم وأديانهم وكتبهم [٩]، ولم تكن أي مدينة، أو قرية خالية من معابد الدين الزاردشتي في بلاد ما وراء النهر [١٠]، وخلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) اعتبر المجوس أهل ذمة إلى جانب اليهود والنصارى، فأصبح لهم حقوق، وعليهم واجبات في ظل الحكم العربي [١١]، ومما سبق يتضح أن بلاد فارس، وما وراء النهر كانت مسرحاً لمذاهب شتى متباينة فيها المجوس عباد النار، والأوثان، وفيها مذهب ماني الزاهد المتنسك، ومذهب مزدك الإباحي المتهتك كما كانت بيوت النار، ومعابد الأصنام منتشرة في أنحاء بلخ، وما وراء النهر [١٢]، كما انتشرت مذاهب أهل السنة في بلخ وما وراء النهر، وساد كل من المذهبين الحنفي والشافعي في بلخ [١٣]، كذلك انتشر المذهب الشيعي في بلخ وخراسان وما وراء النهر [١٤]، وذلك لأن بلخ وخراسان كانت من المراكز الشيعية المهمة لبعدها عن الخلافة السنية، وكان في بلخ أنصار المذهب الشيعي، ومنهم أهل الفيلسوف ابن سينا وأخوه [١٥]، ويتضح مما سبق أنه تعددت العبادات في مدينة بلخ فوجدت الديانة الزرادشتية التي اعتنقتها الطبقة الحاكمة

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٦ / ٢١٤ – ٢١٥.
(٢) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٢٥٦.
(٣) حسين مجيب المصري، صلات بين العرب والفرس والترك، ص٢٨٣
(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٢٥ – ٣٢٩؛ أريدى، تراث فارس، ص٣.
(٥) البوذية، انتشرت البوذية في بلخ، وما وراء النهر حتى القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي. محمد عبد الحي شعبان، الثورة العباسية، ص٤٣.
(٦) المانوية: ديانة منسوبة إلى ماني، وتعاليمها عبارة عن مزيج من النصرانية والزرادشتية، ويمتاز هذا المذهب بالرهبنة ويدعو بتعجيل فناء العالم والزهد. الشهرستاني، الملك والنحل، ٢ / ٤٩.
(٧) الذهبي، الحافظ شمس الدين الذهبي، دول الإسلام، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ١٤٠٥ / ١٩٨٥م، ص٥٣.
(٨) المجوس: هم أتباع ديانة زرادشت، ديانة الفرس القديمة وكانوا يعبدون النار ولهم بيوت للنار. النرشخي، ، تاريخ بخارى، ص٤٠.
(٩) النرشخي، المصدر السابق، ص٨ و٤٠؛ محمد إقبال، ما وراء الطبيعة في إيوان لشاعر باكستان الأكبر، نقله عن الفرنسية، حسين مجيب المصري، ص٦٣.
(١٠) بطرو شفسكى، الإسلام في إيران، ترجمة السباعي محمد السباعي، ط٣ ١٩٩٣م، دار الزهراء للنشر، ص٨٢.
(١١) ابن الوردي، المختصر في أخبار البشر، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٦م، ١ / ٣٤٣؛ أرنولد، الدعوة الإسلامية، ص٢٥٣.
(١٢) المسعودي، مروج الذهب ٣ / ٢٤٢.
(١٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٢٢؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٢٣؛ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، ص٥٥٢؛ ناصر خسرو، سفر نامة، ص١٦.
(١٤) أحمد محمد الحوفي، الزمخشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢/ ٢٢.
(١٥) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٥٠٧.

في بلخ، كما انتشرت البوذية بين عامة الشعب، وعندما فتح العرب المدينة انتشر الإسلام بين أرجاء المدينة، وأصبح للبلخيين شأن عظيم في نشر الإسلام في خراسان وما وراء النهر.

وخلاصة القول فإن المجتمع البلخي كان متعدد الطبقات، وكان لكل طبقة من هذه الطبقات حياتها الخاصة بها التي تختلف في طباعها ومعيشتها عن الطبقة الأخرى، فأعلى هذه الطبقات هي الطبقة الحاكمة والأمراء، ويأتي من بعدها طبقة العلماء والتجار، والذين كانوا مقربين من الطبقة الأولى، فكان أصحاب الطبقة الأولى في حاجة كبيرة للعلماء للوقوف في وجه أصحاب المذاهب المعادية للدولة، وكذلك للتجار الذين يقفون بجانب الدولة في وقت الأزمات، ولا يمكن تجاهل أهل الذمة الذين كان منهم أهل الحرف وكذلك منهم الأطباء المقربون من الطبقة الحاكمة، والطبقة الأهم وإن كانت مهمشة، غير أن الحياة العامة لا يمكن أن تسير بسهولة ويسر بدون تلك الطبقة وهي طبقة العامة.

مظاهر الحياة الاجتماعية في بلخ: كان المجتمع البلخي قبل مجيء المسلمين له عادات وتقاليد خاصة، فبعد دخول أهل بلخ في الإسلام، بقيت بعض العادات والتقاليد، ولكن بعض العادات والتقاليد التي لا تتناسب مع الإسلام رفضها الإسلام، فانتهت تلك العادات والتقاليد، لأنها لا تتناسب مع الإسلام، ولكن بعد أن أصبح المجتمع لحمة واحدة، وحصل اندماج بين العرب والفرس والترك، أخذ كل منهم من عادات الأخر، فأصبح كل عنصر يتأثر بالعنصر الآخر ويؤثر فيه.

والحديث عن مظاهر الحياة الاجتماعية في بلخ يتطلب كل ما يحصل في المجتمع من مجالس الطعام والشراب، والأعياد والاحتفالات، والملابس والأزياء والدور والمساكن، والحمامات، والموسيقى، والغناء، ومجالس اللهو والطرب، وأنواع التسلية، ووسائل الترفيه، وحياة الأسرة، والمرأة ودورها في المجتمع، واليك هذه المظاهر بالتفصيل:

(أ) مجالس الطعام والشراب: اهتم البلخيون بتجهيز مجالس الطعام المتنوعة ولعل ذلك ناتج عن فطرة الطبيعة التي امتازت بها بلخ [(١)]، وتعدد وتنوع الفواكه، والخضروات في بلخ، ومدنها وقراها [(٢)]، وقد ذكر البيهقي [(٣)]" أن في عيد المهرجان كان يجلس السلطان للمعايدة، وتدور كؤوس الشراب، وتقدم الهدايا، وفيه يأكلون الدجاج

(١) بدر الدين حي الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص ١٢٣- ١٢٤.
(٢) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ص١٠٨.
(٣) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص١٥ – ١٧.

المشوي، والبيض المسلوق، والمحمرات والسميط، وتناول الطعام، ثم يعزف العازفون ويغني المطربون [١].

ومما سبق يتضح لنا مدى اهتمام الأمراء الغزنويين في بلخ وغيرها، واختلاف ما عليها من أصناف الطعام والشراب حتى أن العرب الذين جهلوا طيبات الأطعمة، قد استخدموا المطبخ الفارسي في موائدهم، وذلك يوضح لنا مدى اهتمام أهل بلخ بصفة خاصة بإعداد مجالس الطعام وتنوعها.

(ب) الموسيقى والغناء: اشتهر الفرس بالموسيقى والغناء، وذكر الجاحظ [٢]: " أن الفرس هم الذين رتبوا الندماء والمغنين، وقد تأثر الترك بالفرس في فن الموسيقى"[٣]، فقد اعتاد سلاطين الدولة الغزنوية تقريب المغنين منهم، وكانت مجالسهم في بلخ حافلة بذلك، وقد اعتاد على ذلك السلطان مسعود الغزنوي [٤]، ومن أشهر مجالس الشراب والطرب في بلخ في عهد السلطان محمود بحضور قدرخان يوسف [٥]، فقد أمر السلطان بإعداد مائدة فاخرة، وجلس هو والخان جنباً إلى جنب، ولما فرغا بدأ مجلس الطرب الذى كان مزيناً بأندر الزهور، ومزوداً بأطيب أنواع العطور، والجواهر الكريمة النادرة حتى عقدت الدهشة لسان قدرخان [٦]، كذلك اقتبس العباسيون هذا الفن من الفرس، فامتلأت قصور الخلفاء والأمراء، وكبار رجال الدولة بالموسيقي والغناء، واكتظت مجالسهم بالمطربين والندماء [٧]، وشاعت مجالس الطرب في بلخ، وأصبح الغناء من الأساليب الشائعة في بلاط الأمراء والتجار والأغنياء وفى البيوت الأرستقراطية.

ومن أشهر الآلات الموسيقية التي استخدمها البلخيون في العزف والغناء آلة الشهرود وآلة الكناي والكمان والقيثارة والبربط والبندور والفيول [٨]، وكان العود من الآلات الموسيقية الرئيسة في مجالس الغناء والطرب في بلخ [٩]، واهتم عامة الشعب بالغناء والطرب، ويتضح ذلك من خلال الاحتفال بأعيادهم، حيث كان يعزف العازفون على القيثارة [١٠]، ويغني المطربون في الأعياد، وقد تأثرت بعض المدن العربية بأغاني

(١) الأصفهاني، محاضرات الأدباء والشعراء، ص٣٦٨.

(٢) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد ذكي، ط١، المطبعة الأميرية القاهرة، ١٩٦٤م، ص٣٦ و ٥٩.

(٣) حسين مجيب المصري، صلات بين العرب والفرس والترك، ص٤٤٧.

(٤) قابوس، قابوس نامة، ص٩٣.

(٥) بارتولد "، تركستان، ص٤٢١.

(٦) العتبى، تاريخ اليمني، ص٣٢؛ الكرديزي، زين الأخبار، ص ٣٠٤.

(٧) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ٢/ ٤٠٢؛ محمد جمال سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٦ – ٧؛ جرجي زيدان، تاريخ اللغة العربية، دار الكتب المصرية، ١/ ٤٢٢.

(٨) البيهقى، تاريخ البيهقي، ص١٥ – ١٦؛ حسين مجيب المصري، الصلات بين العرب والفرس والترك، ص٤٤٨.

(٩) مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، العدد التاسع عشر ١٩٦٥م، مطبعة جامعة الإسكندرية ١٩٩٦م، ص٧٠.

(١٠) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص١٥ – ١٦.

ما وراء النهر، فذكر أن مدينة بغداد تأثرت ببعض المصطلحات الغنائية والأجواق الموسيقية التي كانت شائعة في بلاد الفرس والأتراك [١].

(ج) الأعياد والمواسم:

١- الأعياد الإسلامية: كان المسلمون في بلخ كغيرها من المدن الإسلامية يحتفلون بقدوم شهر رمضان وعيد الفطر وعيد الأضحى، وكذلك الأعياد الفارسية، مثل النوروز، والمهرجان، والسدق: فكانت بلخ كغيرها من مدن خراسان تستقبل شهر رمضان بالتكبير والتهليل، والأهالي يقيمون الزينة والأنوار الخاصة بهذه المناسبة الكريمة ويظل على ذلك طوال الشهر الكريم، أما على مستوى القيادة في الدولة الغزنوية، فكان السلطان يلغي كل الارتباطات الخارجية، ويمكث في اليوم الأول ويقيم مأدبة للإفطار يحضرها القادة والأعيان وكبار رجال الدولة، وهذا كان يتم مع ولاة الدولة الغزنوية، ومنها بلخ [٢]، كما يقوم بإصدار أمر سلطاني بالعفو عن بعض المساجين في غزنة وكذلك في بلخ، ويأمر بتوزيع الصدقات على الفقراء والمحتاجين، فذكر أنه وزع عام ٤٢٢ه/ ١٠٣١م، ألف ألف درهم، ، وكانت تقام في بلخ في المساجد مجالس الذكر وتلاوة القرآن الكريم، وكذلك كانت تزين المساجد بأفضل الزينة بداية من أول يوم في شهر رمضان [٣].

عيدا الفطر والأضحى:

اهتم أهل بلخ الذين دخلوا في الإسلام والعرب الفاتحون بالاحتفال بالعيدين عيد الفطر، وعيد الأضحى [٤]، فخصصوا مكاناً يؤدي المسلمون فيه صلاة العيد، وهذا المكان داخل المدينة، ويسمى الريكستان " أي الصحراء " [٥]، وقد كانت مظاهر الاحتفال تتجلى في مدينة بلخ مثل غيرها من المدن الإسلامية، فكانت المدينة تزين بالزينات وتسطع في أرجائها الأنوار، وتعلو أصوات المسلمين بالتكبير والتهليل [٦]، فضلاً عن قيام العامة بالتنزه في البساتين، والحدائق التي تؤجر في مدينة بلخ [٧].

٢- **الأعياد الفارسية:** احتفلت بلخ بالعديد من الأعياد الفارسية في شيء من الأبهة والعظمة، وذلك ليعيدوا أمجادهم الفارسية الغبرة، ومن أهم هذه الأعياد:

---

(١) عبد الجبار محمد السامرائي، مجلة التراث الشعبي، تصدرها دار الشئون الثقافية العامة العراق العدد الفصلي ١٩٨٦م، دار الحرية، ص ٥٢ – ٥٦.

(٢) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ٣ / ٤٥٢.

(٣) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٢٩٩.

(٤) السمهودي، نور الدين على بن السيد جمال الدين الشافعي السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم، مطبعة المؤيد الآداب بمصر، سنة ١٣٢٦هـ، ٢/ ٢.

(٥) النرشخي، تاريخ بخارى، ص٨٢؛ الكرديزي، زين الأخبار، ص٣٥٩.

(٦)) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني العصر العباسي الأول في الشرق، ط١٩٨٣، ١٠م، مكتبة النهضة المصرية، ص٢١٢.

(٧) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٩٨.

النوروز (نوك روز) [١]: هو أول أيام السنة عند الفرس وأحد مواسمهم القديمة، وقد أبطل المسلمون الاحتفال بهذا العيد في بلاد الفرس بعد الفتح الإسلامي، ورغم ذلك فقد بقي يوم النوروز معروفاً في الدولة العربية الإسلامية، ثم عاد الاحتفال به ثانية في العصر العباسي [٢]، والنوروز أعظم أعياد الفرس، وأجلها، وهو استقبال السنة، وافتتاح جباية الخراج، وزمن تولية العمال واستبدالهم، وحزب الدراهم والدنانير، وتذكية بيوت النيران، وصب الماء وتقريب القربان، وما أشبه ذلك [٣]، وفى العصر العباسي استعاد عيد النيروز ما كان من روعة واهتمام أيام الساسانين، وذلك بسبب تسامح الخلفاء العباسيين، وميلهم إلى مشاركة رعاياهم في هذه الأعياد [٤]، فاتخذوا هذا اليوم موسماً يلبس فيه جنودهم ملابس الربيع والصيف، ويتبادلون الهدايا والخلع [٥]، وكان النوروز أكبر الأعياد الشعبية، وهو يوم رأس السنة، ويستمر العيد ستة أيام متوالية، وكان اليوم الأول والأخير من النوروز يحتفل بهما احتفالاً يحوي كل المظاهر الشعبية [٦]، كذلك كان أمراء وسلاطين الدولة الغزنوية يحافظون على الآداب والشعائر الإيرانية، ويهتمون بالأعياد الفارسية والنظم، والعادات والتقاليد التي كان يسير عليها السابقون [٧]، فقد كان السلطان مسعود يحتفل بالنوروز فى بلخ، وصار أهل بلخ على هذه العادة دائماً في الاحتفال بهذا العيد [٨]، ومن التقاليد والعادات المتبعة فى النوروز إيقاد النار في ليلته ورش الماء في صباحه، وتبادل الهدايا، وزرع الحبوب والغلان [٩]، وكذلك يتخذونها راحة من عناء العمل طوال العام فيخلدون فيه للراحة ولا يزاولون أي أعمال إلى أن ينتهي الاحتفال به[١٠].

عيد المهرجان [١١]: من الأعياد الفارسية القديمة التي احتفل بها يوم رأس السنة[١٢]، ويأتي بعد عيد النيروز بمائة وأربعة وتسعين يوماً، وكان يعتبر أول أيام

---

(١) النوروز أو النيروز: كلمة فارسية مركبة من (نو)، أي جديد و (روز)، أي يوم، فيكون معناها اليوم الجديد من السنة الإيرانية، وهو اليوم الأول من شهر " خروودين " الذي يعتبر عيداً، وطنياً لدى الإيرانيين. الكرديزى، زين الأخبار، ص٤٠٥ – ٤٠٦.

(٢) طه ندا، الأعياد الفارسية في العالم الإسلامي، مجلة كلية الأدب جامعة الإسكندرية، المجلد ١٧ سنة ١٩٦٣م، ، ص٥– ١٠.

Muhammad mamasin Ahsan social li fe emaer the Abbasids ،librairie duliban. p. p٢٨٩

(٣) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، ص١٢٨؛ كرستس، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحي الخشاب، عزام، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٧ م، ص ١٦١ –١٦٣؛ فؤاد عبد المعطى، النوروز وأثره في الأدب العربي، طبعة دار الأحد البحري، ١٩٧٢م، ص ٥–١٣.

(٤) البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، الآثار الباقية عن القرون الخالية، مكتبة المتنبي ص ـــ٢٣٣، ٢٣٤؛ عبد العزيز شاه غلام حكيم الدهلوي، مختصر التحفة الاثني عشرية، ص ٢٠٧ – ٢٠٨؛ حسن الحاج حسن، النظم الإسلامية، المؤسسة الجامعة للدراسات، بيروت، ١٤٠٦هـ ١/ ٢٣٨؛ آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ص٢٥٤.

(٥) فؤاد عبد المعطي الصياد، النوروز، ص٥٢.

(٦) كريستس، إيران في عهد الساسانيين، ص ١٦٠ – ١٦١.

(٧) فؤاد عبد المعطي، المرجع السابق، ص٥٢.

(٨) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٢١٢.

(٩) فؤاد عبد المعطى، المرجع السابق ص ـــ٣٣، ٣١، ٢٩؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ٢/ ٤٣٦ – ٤٣٧.

(١٠) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص١٥ – ١٦.

(١١) المهرجان أو المهركان: هو عيد قديم يوم السادس عشر من شهر مهر، وهو أكبر عيد بعد النوروز، وينقسم إلى عيدين مهرجان العامة، ومهركان الخاصة، ومعناه محبة الروح، وهو في فصل الخريف. البيروتي، الآثار الباقية، ص٢٢٢؛ ترهنك، المعجم الذهبي، ص٥٥١.

(١٢) كريستس، تاريخ إيران، ص١٦١

الشتاء، وكان أهل بلخ، وكل البلاد الواقعة تحت سلطة الدولة الغزنوية يتبادلون الهدايا فيه كل على قدر طاقته، وكان القواد ورجال دار الخلافة يغيرون الملابس الشتوية، وكان العامة يغيرون فيه الفرس والآلات، وكثيراً من الملابس (١)، ومن مظاهر الاحتفال بهذا العيد أن العامة يأكلون الدجاج المشوي على السفور والخصى، والبيض المسلوق، وما يلزم في المهرجان من المحمرات والسميط، ويغنون ويرقصون (٢).

عيد سده (٣)، أو " السنرق ": من الأعياد الفارسية القديمة، وهو في العاشر من شهر بهمن " يناير فبراير "، وهو أهم أعياد النار، وفيه يتبخرون لطرد السوء، ومن رسومهم في ليلته أيقاد النيران، وتأجيجها، وإرسال الوحوش فيها (٤)، وتطير الطيور في لهبها والشرب والتلهي حولها (٥)، وكان أهل بلخ كغيرهم من البلاد الخاضعة لحكم الدولة الغزنوية يحتفلون بهذا العيد، ويقيمون نفس المراسم السابقة (٦).

مما سبق يتضح أن هناك حرية دينية في بلخ في أثناء الخلافة الغزنوية، حيث كانت تقام الأعياد الخاصة في كل طائفه وكان الأمراء وكبار رجال الدولة يشاركون في هذه الأعياد.

ونستنتج مما سبق أن الحياة الاجتماعية في مدينة بلخ حفلت بالموسيقى والغناء، وشهدت قصور الأمراء، وكبار رجال الدولة مجالس الطرب، ولعل من أسباب انتشار الغناء في بلخ رخاء الدولة، ووفرة الأموال، وكثرة الجواري والغلمان، ورخص السعر، حيث كان يباع أيام السلطان مسعود بدينار، وكثرة الشعراء، والأدباء وانتشار مجالس اللهو والطرب، وحب العامة والخاصة للموسيقى والغناء.

(د) مجالس اللهو: شغل الأمراء في بلخ بمجالس اللهو تقليداً في ذلك لسلاطين غزنة الخاضعين لهم، والذين كانوا يعقدون هذه المجالس في بلخ في أثناء وجودهم فيها، حيث كان بعض الندماء يقومون بأداء حركات هزلية مضحكة، ويحاكون بعض الناس، ويقلدون أصوات الطيور والحيوانات، ويلبسون أقنعة تنكرية، ويظهرون بمظاهر مضحكة (٧)، ويدلك البيهقي (٨) على وجود المضحكين في مجالس السلاطين الغزنويين

(١) آدم متز " الحضارة الإسلامية، ٢/ ٢٧٤؛ حسين الحاج حسن، النظم الإسلامية، ١/ ٣٣٨.

(٢) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٥٤٠ – ٥٤١.

(٣) ومن مراسم هذا العيد أيضاً تطير المجللة بالفظ في لهب البيزات ويكون منظراً جميلاً. البيروتي، الآثار الباقية، ص٢٢٩.

(٤) إرسال الوحوش: معناها إطلاق الوحوش التي تم استئناسها في الغابات والمراعي.

(٥) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص ١٧؛ آدم متز، الحضارة الإسلامية ٢/ ٢٤٧ – ٢٤٨؛ شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف القاهرة ١٠ / ٧٠؛ كرستس، إيران في عهد الساسانيين، ص١٦٦؛

cambrid ge uniuersi ty ،D- M-A-shaban " The Abbas id renolution ،p ٢٨٦

(٦) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص ٤٧٠.

(٧) عطية أحمد القوصي، السماحة في المجتمع الإسلامي وموقف الخلفاء والشعب منه، مقال بمجلة الدراسات الشرقية، العدد الثاني، يونيو سنة ١٩٨٤م، ص ١٢٠.

(٨) عطية أحمد القوصي، السماحة في المجتمع الإسلامي وموقف الخلفاء والشعب منه، مقال بمجلة الدراسات الشرقية، العدد الثاني، يونيو سنة ١٩٨٤م، ص ١٢٠.

في عهد السلطان محمد بن محمود بقوله: لقد وهب الهبات والأموال للجند والشعراء حتى الطالبين والزمارين والمضحكين "، وكانت تقام هذه المجالس في أوقات المناسبات مثل الأعياد الفطر والأضحى والنوروز والمهرجان (١).

الصيد: رياضة ملكية محببة، أودع بها ملوك الفرس من أقدم العصور وبعد الصيد أكثر أنواع اللهو لياقة الملوك، وكانوا يهتمون بصيد الكواسر التي كانت تدرب في بعض الأحيان، وتستخدم في بعض الشئون (٢)، وقام السلطان مسعود الغزنوي بكثير من رحلات الصيد في صحراء بلخ في أثناء وجوده هناك (٣).

الشطرنج: كانت من وسائل التسلية التي سمح بها الفقهاء لما فيها من تمرين للذهن وإذكاء للفطنة (٤)، انتشرت لعبة الشطرنج في بلاد فارس بين الخاصة والعامة، ونقلها الترك من الفرس، وتعلق الملوك بهذه اللعبة، وغالوا في اقتناء قطعة وصنعوها من الذهب والفضة والعاج والأبنوس(٥)، وأضحى الشطرنج من العادات المتبعة في العصر العباسي لما فيها من تكامل الأدب(٦)، وكان العامة في بلخ يتلهون داخل المنازل، بلعبة الشطرنج، وكانوا يلعبون بها على رقعة مربعة حمراء من أدم (٧).

سباق الخيل: من وسائل التسلية الأخرى في بلخ سباق الخيل، وكان هذا عملاً بما أوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم: " علموا أبناءكم السباحة والرماية وركوب الخيل "، ومن أجل هذا كان السلاطين والأمراء في الدولة الغزنوية يحضرون حلبة السباق تشجيعاً للفرسان ليكونوا دائمي التدريب، وكذلك تلبية لرغبة العامة في حبهم لهذه الرياضة، فكان سباق الخيل من أجمل أنواع التسلية عند الأمراء، وقد بلغ من شغف الناس بسباق الخيل أن السابق يستولي على حصان المسبوق (٨).

العادات: لبلخ وخراسان وما وراء النهر عادات كثيرة، وطريقة ومن تلك العادات " هدية الحمام ":

---

(١) البيهقي، نفسه، ص٤٨.

(٢) الفردوسي، أبو القاسم منصور بن الحسن بن إسحاق، الشاه نامة، الإشراف العام، سمير سرحان، ص١٢٠.

(٣) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص ٢٠١.

(٤) الشطرنج: اختلفت أساطير الأمم في الشطرنج، فنسب إلى أمم كثيرة، وإلى أناس عديدين، وأرجح الآراء فيما يظهر أن مهد الشطرنج الهند، وقد أخذه العرب عن الفرس، وأخذه الفرس عن الهند. الرواندي، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، القاهرة ١٩٦٠م، ص٢٧٩؛ آدم متز، تاريخ الحضارة الإسلامية، ٢/ ٢٥٧ – ٢٥٩؛ عطية القوصي، المسلمون والشطرنج دراسة تاريخية، دار الثقافة العربية القاهرة، ١٩٨٥م، ص١٤.

(٥) munray: H. J. R: Ahisstory of ch ess ١٩٦ munray: H. J. R: Ahisstory of ch ess ١٩٦٢ p. ٣٣٧

) munray: H. J. R: Ahisstory of ch ess ١٩٦٢ p. ٣٣٧٢ p. ٣٣٧

(٦) الفردوسي، الشاه نامة، الحاشية، ١/ ١٤٧؛ عطية القوصي: المرجع السابق، ص١٤.

(٧) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ٢/ ٤٤٤.

(٨) آدم متز، الحضارة الإسلامية، ٢/ ١٨٧؛ حسن إبراهيم حسن المرجع السابق، ٢/ ٤٤٤؛ حسين الحاج حسن، النظم الإسلامية، ص ٣٤٠؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، ١/ ٩٧.

وفيها يقدم مبلغ من المال باسم " هدية الحمام " للضيف عند قدومه، فبعد الفراغ من الطعام يجئ بما لا يحصى من " النزل " المبلغ من عشرين ألف درهماً من الفضة برسم هدية الحمام [١]، وقدمت هذه الهدية لرسول الخليفة العباسي القادر بالله سنة (٤٢٢هـ/١٠٣٠م) مبلغ عشرين ألف درهم من الفضة مما أثار دهشة رسول الخليفة[٢]، وذلك في بلخ.

هبة الأسنان " هدية تعب الأسنان " مزدوندان: هذه عادة متبعة في الفرس والترك، وصار عليها العامة في بلخ، وسائر الدولة الغزنوية حيث يعطون للضيف مالاً باسم (مزدوندان، مكافأة على ما تجشمت أسنانه من المشقة في أثناء الأكل [٣]، وقد قدم أهل بلخ سنة ٤٢٢ ه/ ١٠٣٠ – ١٠٣١ م عندما كان رسول القادر بالله في ضيافتهم، فقد أعدوا له مائدة فاخرة، فأكلوا ثم قدموا له مالاً كثيراً نظير " تعب الأسنان "، مما صار له وقع حسن لدى السلطان[٤].

ومن العادات المألوفة عند البلخيين فى أعيادهم أن يخرجوا إلى البساتين والحدائق التي امتازت بها أراضي بلخ الخصبة [٥].

الهدايا والنثار في المناسبات والأعياد: اهتم الغزنويون بتقديم الهدايا والنثار في المناسبات والأعياد والنثار كانت عبارة عن أموال كثيرة متعددة من ذهب وفضة وملابس غير مخيطة وخيول من أصناف نادرة وغيرها، ولعل ما قام به السلطان محمود عند لقائه بقدرخان وتقديم أفخر الهدايا لأكبر دليل على ذلك [٦]، وعندما أقيمت الخطبة للخليفة القائم بأمر الله في أحد مساجد بلخ بحضور السلطان ورسول الخليفة حينما كانا جالسين بعد الصلاة، قام عمال خزانة السلطان بوضع عشرة آلاف دينار في خمسة أكياس من الحرير تحت المنبر، كنثار للخليفة، وبعدها قام الأمراء وكبار رجال الدولة بوضع الأموال، والموكلون بحفظ واستلام هذه الهدايا يضعون كل في المكان المخصص له، والمنادي ينادي باسم مهديها، ففي هذا اليوم جمعوا الكثير من الأموال حملت هذه الأموال عن طريق السوق، فكان للتجار نصيب حيث وضع التجار إلى آخر النهار أيضا الكثير من الهدايا بمختلف أشكالها، فجمعت كل هذه الهدايا، وأرسلت إلى الخليفة[٧].

(١) البيهقي، المرجع السابق، ص ــ ٣٢٠، ٤٢؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ٢ /٤٤٤.

(٢) بدر عبد الرحمن، رسوم الغزنويين، ص١٤٤.

(٣) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٤٤.

(٤) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٣٢٠.

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٩٩؛ مظفر الدين شاهنشاه، تاريخ إيران تقدمه لأعتاب عظيمة السلطان، ترجمة، يحي الخشاب، مطبعة المقتطف بمصر، ١٨٩٨م، ص ٦٧.

(٦) الكرديزي، زين الأخبار، ص٣٠٤.

(٧) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٢٢.

الاحتفال بختم القرآن: كان لبلخ، وغيرها من مدن خراسان طقوس معينة في أثناء انتهاء أبنائهم من حفظ القرآن الكريم، حيث يقوم المكان الذي حفظ فيه القرآن الكريم بعمل احتفال خاص، سواء في المدن أو القرى، للطالب الذي ختم القرآن، وكذلك الطلاب الذين ختموا القرآن في السابق من قبل هذا المكان، حيث يخرج الطلاب مع أهالي البلد في موكب عظيم متوجهين إلى مقبرة البلد، ويقوم الطالب بتلاوة القرآن عند مقبرة أحد أقربائه، ويقرأ دعاء ختم القرآن، ثم يتوجه الجميع إلى بيته، لتناول بعض المشروبات والأطعمة الخاصة التي تقدم في مثل هذه الاحتفالات (١).

وهكذا نجد أنه تعددت وسائل التسلية في بلخ من غناء وشطرنج وسباق الخيل؛ مما ساعد على إثراء الحياة الاجتماعية في بلخ في فترة الدولة الغزنوية.

(ه) علاقة سلاطين الدولة الغزنوية بعامة الناس في بلخ: لم تكن علاقة السلاطين بعامة الناس في القرى والمدن التابعة لبلخ، وكذلك بلخ نفسها على ما يرام؛ فالسلطان محمود الغزنوي الذي استطاع نشر الإسلام وفتح الكثير من القلاع في بلد الهند والحصول على الأموال والغنائم الكثيرة، لم تحسن تلك الغنائم من وضع الطبقة الكادحة في بلخ، بل صعبت أمرها وازدادت متاعبها، فتلك الغنائم مهما كان حجمها، لم تفِ بمتطلبات الجند والبلاط السلطاني، وتلبِّ حاجاتهم اليومية؛ سواء لكبار رجال الدولة وقادة الجيوش، بل ازداد الأمر من خلال فرض الضرائب على الناس لمواصلة الحملات العسكرية التي كانت تقام في حروب الدولة الغزنوية مع السلاجقة في خراسان، فكانوا يجبرون الناس على دفع الضرائب قصراً، والدليل على ذلك انخفاض أسعار الأراضي الزراعية، وكذلك موت الكثير من الناس جوعاً في المدن والقرى في سنوات الجفاف المتتالية (٢)، وأكد على ذلك أبو الفضل البيهقي أن سكان بلخ كان نصيبهم التجريح من السلطان محمود عندما رفضوا دفع الخراج، وكذلك مقاومتهم للقراخانيين، حيث قال: " ما للرعية والقتال لا جرم قد هلكت مدينتكم، وأحرق من أملاكي بلد يغل علي أموالاً طائلة، وأني أحملكم غرامة هذه الخسارة، ولكني أعفو عنكم، فانظروا واحذروا أن يتكرر هذا، فإن كل ملك يتسلط عليكم ويلزمكم بالخراج ويؤمنكم عليكم أن تدفعوا له الخراج، وتحافظوا على أنفسكم " (٣).

(١) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص ١١٥ – ١١٦؛ السبكي، تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب المعروف بالسبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ط٢، القاهرة، ١٣٢٤ ه، ٣/ ١١٣.

(٢) العمادي، خراسان، ص٢٣٤.

(٣) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٦٠١.

فالملاحظ للرواية البيهقي السابقة يرى مكانة بلخ وقوتها الاقتصادية للدولة الغزنوية، ومكانة العامة من الدولة فهم قوة يستثمرها السلاطين لدفع الخراج، فهذا هو الاحتياج الأساسي لهم من قبل الدولة.

(و) الدور والمساكن: كانت منازل أهل بلخ تتسم برقيها وعظمتها، حيث كانت طائفة الأغنياء تسكن في أحياء راقية مثل حي عبد الأعلى، واتسمت منازل هذه الطائفة بأنها محاطة بالحدائق من الخارج، وكانت غير مزدحمة، ويسودها الهدوء [١]، ويدل منازل هذه الطبقة على مدى الثراء الذي حصل لهم في عهد الدولة الغزنوية، وما طرأ على المجتمع البلخي من ثراء اقتصادي، حيث تجمع في يد كبار رجال الدولة والأغنياء أموال طائلة، فظهر ذلك من خلال بناء القصور وزخرفتها بشيء مبالغ فيه، حيث وصلت في ذلك الوقت إلى تقدم في العمارة، لم يسبق من قبل، حيث كانت القصور تقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم خاص بنساء القصر، وقسم ثانٍ خاص بالخدم، أما القسم الثالث، فخاص بالضيافة، وكان في العادة أن يحيط بهذه القصور سور بداخله حديقة يزرع بها مختلف الفواكه، والورود، والزهور الجميلة [٢]، أما عن مساحة هذه القصور، فكانت كبيرة حيث كانت تبنى على مساحة كبيرة من الأراضي، فكانت تحتوي على الكثير من الغرف، وقاموا بزخرفتها بأنواع الزخارف المختلفة، فطليت الجدران بالفسيفساء [٣]، أما عن الإضاءة، فكانت القصور بمصابيح معلقة على أرجل مصنوعة من الخزف، ووقودها من الدهن، واستخدموا كذلك الشموع التي تخلط بأنواع العطور، فتعطي رائحة طيبة [٤]، وكذلك يوضع على أبواب القصر القناديل التي تضيء ليلاً، وتزخرف القصور أيضاً بأنواع الجص [٥]، وكان لهذه القصور أبواب مصنوعة من الحديد أو الخشب وتكون محكمة الغلق [٦]، وقاموا بفرش تلك القصور بأفخر الأثاث من سجاد، وتحف، وستائر، وغرف في غاية الأناقة والجمال [٧].

الرحلة في طلب العلم:

كانت الرحلة في طلب العلم من أهم مميزات الحياة العامة في بلخ وغيرها من مدن العالم الإسلامي خلال العصر الغزنوي؛ مما أدى إلى ازدهار الحياة الثقافية

(١) البناكتي، تاريخ البناكتي، ١/ ٤٩٢.
(٢) النرشخي، تاريخ بخارى، ص٤٤٥.
(٣) الإصطخري، المسالك والممالك، ص١٤٩.
(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٢٨٤.
(٥) ابن مسكويه، تجارب الأمم، ٣/ ٦٨.
(٦) الإصطخري، المسالك والممالك، ص١٤٩.
(٧) الكرديزي، زين الأخبار، ١/ ١٧٢.

والاجتماعية في بلخ خلال العصر الغزنوي، فكانت بلخ مكاناً لترحال العلماء سواء منها أو إليها من أغلب مدن خراسان أو إلى بلاد الحجاز ومصر والشام [١]، فأصبحت بلخ في العصر الغزنوي من أهم مراكز الثقافة، فوصفت بلخ بأنها المنتهى في الرحلة في طلب العلم [٢]، ويرجع هذا إلى اهتمام حكام الدولة الغزنوية بالعلم، فكان السلطان محمود الغزنوي يضم لمجلسه العلماء من الدول المجاورة، فأرسل إلى الأمير مأمون بن مأمون أمير خورازم، حيث علم أن مجلسه به الكثير من العلماء، فوافق وأرسلهم إليه فلبى طلبه ثلاثة من العلماء، غير أن ابن سينا، وأبا سهل المسيحي هربا بعلم المأمون ولم يرغبا في الذهاب للسلطان محمود الغزنوي [٣]، وكان للرحلة في طلب العلم فوائد متعددة منها التمكن من العلم حيث التعرف على بيئات جديدة تزيد من فقه العالم واجتهاده في مختلف الفروع[٤]، ومن فوائدها أيضاً نشر العلم الذي تلقاه العالم، واتساع الثقافة العامة وتنمية الفضائل في النفس، والتعرف على أناس جدد وكسب صداقتهم [٥] ومن أمثلة الرحلات ذكر بعض العلماء من الحياة الثقافية بعض المؤسسات كالكتاتيب والمدارس والحمامات.

المراكز الاجتماعية في بلخ: كانت بلخ تضم مراكز اجتماعية مهمة ساهمت في ازدهار الحياة المدنية والاجتماعية، ومن أهم هذه المراكز الاجتماعية ما يلي:

المساجد والجوامع: المساجد والجوامع من أهم المنشآت العامة في المدينة الإسلامية، ولها دور كبير وخطير في المجتمع الإسلامي فإضافة إلى الوظيفة، فهي أيضاً مركز لبحث الشئون السياسية والدينية والتربوية والاجتماعية [٦]، فبعد الفتح الإسلامي لمدينة بلخ بنى المسلمون المسجد الجامع وأطلقوا عليه المسجد الأزرق [٧]، وكذلك بنى المسلمون في بلخ وقراها مساجد عديدة تصل إلى نيف وأربعين مسجداً [٨] كونه مكاناً للعبادة، فقد كان مكاناً يفصل فيه المسلمون، فيما يتعلق بشئونهم، كما كان مقراً للمناقشات، ومجلساً للقضاء، وفضاً للمنازعات الدينية والمدنية، ومكاناً للدرس والوعظ، والإرشاد والجلوس للتعزية والتهنئة [٩]، إلى جانب كونه مدرسة لتلقين أصول الدين الإسلامي، وتعليم القرآن الكريم، فقد كانت المساجد مركزاً للعلم، ومعاهد للتعليم،

(١) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ٣ / ٣٩.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٩٤– ٢٩٥.

(٣) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ٣ / ٣٣٦؛ عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ الإسلام، ص١٩٢ – ١٩٣.

(٤) الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين عتر، ط١، دمشق، ١٣٩٥ه / ١٩٧٥م، ص٢٤.

(٥) الخطيب البغدادي، نفسه، ص٢٧.

(٦) محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، ص٣٢٤.

(٧) الإدريسي، نزهة المشتاق، ١/ ٤٦٦.

(٨) ابن رسته، الأعلاق النفسية، ص٢٨٩.

(٩) السيد خالد المطري، دراسات في مدن العالم الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٩م، ص ٦١ – ٦٢.

وجامعات للتثقيف[١]، وصفوة القول: " إن المساجد التي أسسها العرب في بلخ ونواحيها كانت بمثابة مدارس، وجامعات للوعظ والإرشاد، وتعليم أصول الدين، من فقه وحديث وغيرها من علوم دينيه لذا اهتم المسلمون ببناء المساجد في بلخ ومدنها لرفع راية الإسلام، ونشر الدعوة الإسلامية.

المجالس الاجتماعية في بلخ: انتشرت المجالس الاجتماعية في قصور الأمراء، والأعيان، حيث يجتمع العلماء والأدباء للمناظرة والمناقشة (٢)، وكانت تعقد مجالس خاصة للتسلية في داخل المنازل في بلخ لسماع الحكايات المثيرة والأحاديث التي تتجلى فيها اللباقة العقلية (٣)، كذلك كان لأهل بلخ مجالس في عشيات جمع شهر رمضان للمناظرة والدرس (٤)، ويجتمع في تلك المجالس عامة الناس وبعض العلماء والشيوخ وطلاب العلم (٥)، وكانت تعقد في قصر السلطنة في حي عبد الأعلى مجالس السلطان والتي تحوي العلماء والأدباء والشعراء، ويلقي فيها الشعر في مدح السلاطين الغزنويين(٦).

المرأة وأثرها في المجتمع: كان للمرأة في بلخ وخراسان دور عظيم في نواحٍ متعددة من الحياة منها السياسي والديني والاجتماعي وغيرها، فقد شاركت المرأة في جبهات القتال؛ حيث كان المجاهدون يصطحبون نساءهم في الحروب [٧]، واستطاعت النساء أن يضربن وجوه الخيل، ويشجعن الرجال على مواجهة الكفار [٨]، وهذا بالطبع دليل قاطع على مشاركة النساء أزواجهن في تلك المعارك الحربية ضد الترك، فشاركت زوجة المهلب بن أبى صفرة " خيرة القشيرية " [٩] زوجها في جميع غزواته ضد الكفار في خراسان، وكذلك شاركت المرأة في بلخ، حيث كانت النساء سبباً في إلغاء الخراج عن أهل بلخ، وسبباً في بناء المسجد الجامع " الأزرق " في بلخ، حيث ذهبت حرائر بلخ إلى زوجة الوالي، وشكت لها الحال، فرفعت عنهم الغرامات [١٠]، كما كان للمرأة أثرها في الناحية الاقتصادية، حيث ظهرت بين طبقة العامة نساء كان لهن أثر في إثراء الحياة الاقتصادية؛ فكانت المرأة في القرى تساعد زوجها في الأعمال الزراعية، وتقف إلى جانبه تؤازره، وتتحمل معه مسئوليات الحياة [١١]، أما من ناحية مظهر المرأة وأناقتها،

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٢٨.
(٢) سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ١٨٢ – ١٨٥.
(٣) النرشخي، تاريخ بخارى، ص٣٥.
(٤) أحمد محمد الحوفي، الزمخشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢ / ٦.
(٥) أمين مدني، الثقافة الإسلامية وحوافزها، ص ١٠٨ – ١١٣.
(٦) سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٨١ – ١٨٥.
(٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٠٣؛ الموسوي، العوامل التاريخية، ص٢٥٨.
(٨) البلاذري، المصدر السابق، ص٤٠٤؛ فامبري، تاريخ بخارى، ص٦٤.
(٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٦ / ٣٢١.
(١٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٦ / ٣٢١.
(١١) عصام الدين عبد الرؤوف، الحواضر الإسلامية الكبرى، ص٣٣٤.

فقد كان لحياة الترف أثرها على ملابس النساء في بلخ، فاتخذت نساء الطبقة الراقية غطاء الرأس " البدنسى " مرصعاً بالجواهر، ومحلى بسلسلة ذهبية مطعمة بالأحجار الكريمة، وأحذيتهم مطعمة بالجواهر [١]، أما نساء الطبعة الوسطى فكانت تزين رؤوسهن بحلية مسطحة من الذهب يلفف حولها عصابة منضدة باللؤلؤ والزمرد ويلبس الخلال في أرجلهن، والأساور في معاصمهن [٢]، أما أحوال النساء من أهل الإسلام في بلخ فإنهن في غاية السكينة والاحتشام، فيظهرن غير متبرجات، وعلى وجوههن المناديل، وعلى رؤوسهن الأزرار الطويلة [٣]، وبهذا العرض الموجز عن دور المرأة في بلخ نجدها وراء ثراء الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، والثقافية بها، ومشاركتها في تحمل أعباء الحياة مع الرجل، ووصولها إلى منصب الحكم والإدارة، وحصولها على قدر وافر من التعليم والثقافة، كذلك ظهرت المرأة في الحياة العامة تقف بجوار زوجها تؤازره وتتحمل أعباء الحياة؛ فالبلخيون أخذوا بأسباب الحضارة والتقدم، فرقت أصولهم وتعددت موارد الدخل بسبب تجاراتهم الرائجة وصناعاتهم الراقية وعلومهم الدينية الواسعة، وعلى هذا فقد شاركت المرأة الرجل، كأم وربّة بيت تهيئ له كل أسباب الراحة من تأمين أمور البيت، وإعداد الطعام، وتوفير الراحة له عند العودة من العمل، وكانت تضطر للخروج لشراء حاجاتها وبيع بعض الأعمال التي قامت بإعدادها في المنزل مثل الغزل والنسيج [٤]، ومما اتصف به المجتمع تعدد الزوجات، فكان الرجل يجمع في بيته بين زوجتين وثلاث زوجات في بيت واحد، وخاصة أن المجتمع كان مليئاً بالجواري، فيستطيع الرجل الحصول عليهن بسهولة، لذا كثر طلاق الحرائر [٥].

وخلاصة القول يظهر الدور العظيم الذي قامت به المرأة في بلخ، فلم تترك مجالاً من مجالات الحياة إلا وشاركت فيه، حيث كانت تساعد زوجها في الحياة اليومية، ومن أجل ذلك كانت تغزل النسيج، وتتاجر في الأسواق، وتساعد زوجها في الزراعة، بالإضافة إلى ما تقوم به من أعمال البيت في تربية الأولاد وإعداد الطعام وكل مستلزمات المنزل اليومية، فكان دورها مؤثراً في الحياة اليومية في المجتمع البلخي، ولم تفقد المرأة احتشامها، فلم تخرج من المنزل غير محتشمة، ولم يكن يمنعها هذا من التعليم، فكان لهن دور في تقدم المجتمع بمختلف أنواعه السياسي، والاقتصادي، والثقافي.

(١) النرشخي، تاريخ بُجارى، ص٤٧؛ فامبرى، تاريخ بُجارى، ص٣٧؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ٦ / ٤٣١.
(٢) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ٢ / ٤٢٠.
(٣) محمد عبد الجواد القاياتي، سلسلة التواريخ، ص٤٥.
(٤) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص١١٥ – ١١٦.
(٥) آدم متز، الحضارة الإسلامية، ص١٧٤.

الخاتمة: إن الحياة الاجتماعية في بلخ، كانت جزءاً مهماً من نسيج المجتمع الذي عمل على تقدم المجتمع ورقيه ، حيث شارك فيه عناصر المجتمع الثلاثة الترك، والفرس، والعرب، ولعل السبب الأساسي في هذا راجع إلى تجانس تلك العناصر مع بعضها البعض، وقبولهم لأفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم، ولكن بالرغم من ذلك، وجد في المجتمع البلخي العديد من الطبقات، والتي كان لكل طبقة منها سماتها وعاداتها وتقاليدها التي تختلف عن الطبقة الأخرى، من حيث الملبس، والمسكن، والمأكل، والمشرب، وتختلف كل طبقة عن الأخرى في علاقاتها بالسلطة، ولكن لا يخلو المجتمع من بعض الصراعات، وخاصة بسبب تعدد المذاهب الدينية، حيث كان لكل مذهب أنصاره مما يولد تلك الصراعات، غير أن مذهب الدولة كان المذهب السني، والذي حاول القضاء على تلك المذاهب الأخرى، وكان ذلك بتشجيع العلماء الذين أوكلوا لهم الوقوف في وجه تلك المذاهب، وبالرغم من تلك الصراعات التي كانت تحدث بين الحين والآخر، فإن الحياة العامة في بلخ كان لها مظاهر متعددة، منها مجالس الطعام والشراب، والتي كانت تعقد في الاجتماعات الخاصة والعامة في أثناء الاحتفالات بالأعياد الدينية، والأعياد القومية، والتي كانت يتم الاحتفال بها سواء كان السلطان في بلخ، أو تعقد بمعرفة وحضور والي بلخ من قبل الدولة الغزنوية، وتتسم هذه الموائد بوجود المطربين والمغنيين، وكذلك على أنغام الموسيقى، بالإضافة إلى تزيين البلدة بأكملها، وكذلك انتشرت كثير من الألعاب منها الصيد والشطرنج، وسباق الخيل، كما احتفظ المجتمع البلخي بالكثير من العادات منها هدية تسليك الأسنان، وكذلك الهدايا والنثار التي يقدمها السلاطين والولاة في الأعياد والمناسبات العامة، غير أن علاقة سلاطين الدولة الغزنوية مع أهل بلخ، وخاصة العامة منهم تقوم على المصلحة، حيث كانوا يهودونهم من أجل الحصول على الضرائب، أما عن مساكن أهل بلخ، فكانت تختلف مثل غالبية المجتمعات والمدن؛ فالطبقة الثرية كان يظهر على مساكنهم وملابسهم الثراء، أما العامة فكانت مساكنهم تتناسب مع الدخل الذي يحصلون عليه، حيث كانت تلك المساكن متواضعة للغاية، وتميزت بلخ بأنها إحدى المدن اتسمت بكثرة العلماء والمثقفين، لذا توافدت عليها الرحلة في طلب العلم، وبالتالي ظهرت فيها المراكز الاجتماعية المتعددة؛ منها المساجد، والكتاتيب، والمدارس، وغيرها، ولا يمكن أن ننسى الدور الكبير الذي قامت به المرأة البلخية، في مختلف أركان المجتمع، فعملت على ازدهارها سياسياً، واقتصاديا، وعلمياً، وحضارياً، فكل تلك الأدوار الاجتماعية ساعدت على تقدم بلخ في شتى المجالات.

المصادر والمراجع

- ابن الوردي، المختصر في أخبار البشر، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٦م .
- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ٣، دار المعارف القاهرة، ١٩٦٠م .
- أحمد محمد الحوفي، الزمخشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- ألبرت هواراني، تاريخ الشعوب العربية، ترجمة نبيل صلاح الدين، مراجعة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م .
- بدر عبد الرحمن، رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية، ط١، ١٩٨٧ م، مكتبة الانجلو المصرية
- بطرو شفسكى، الإسلام في إيران، ترجمة السباعي محمد السباعي، ط٣ ١٩٩٣م، دار الزهراء للنشر
- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، الآثار الباقية عن القرون الخالية، مكتبة المتنبي
- ج. أريدي، تراث فارس، نقله إلى العربية محمد كفافي، وأحمد الساداتي، السيد يعقوب بكر محمد صقر خفاجة، واشترك في مراجعته، يحي الخشاب، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد ذكي، ط١، المطبعة الأميرية القاهرة، ١٩٦٤م .
- الجاحظ، أبو عمرو بن بحر الجاحظ، ثلاث رسائل لأبي عثمان الجاحظ، رسالة إلى الفتح بن خاقان في مناقب الترك، وعامة جند الخلافة، طبعة ليدن ١٩٩٨م .
- جرجي زيدان، تاريخ اللغة العربية، دار الكتب المصرية .
- الجواليقي. أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضرت، ٥٤٠هـ- ١١٤٥م، المعرب من الألفاظ الفارسية، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر، مصر ١٣٨٩هـ.
- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني العصر العباسي الأول في الشرق، ط١٩٨٣، ١٠م، مكتبة النهضة المصرية .
- حسن الحاج حسن، النظم الإسلامية، المؤسسة الجامعة للدراسات، بيروت، ١٤٠٦هـ
- حسين عطوان، الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي.

- حسين مجيب المصري، صلات بين العرب والفرس والترك، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٩م .
- الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين عتر، ط١، دمشق، ١٣٩٥ه / ١٩٧٥م .
- الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، مطبعة المؤيد دمشق، ١٣١٨ ه،
- الذهبي، دول الإسلام، منشورات مؤسسة الأعلام، بيروت لبنان، ١٤٠٥ه/١٩٨٥م .
- الزبيدي، تاج العروس، بنغازي، ليبيا، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م .
- السبكي، تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب المعروف بالسبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ط٢، القاهرة، ١٣٢٤ ه.
- السمهودي، نور الدين على بن السيد جمال الدين الشافعي السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم، مطبعة المؤيد الآداب بمصر، سنة ١٣٢٦هـ .
- السيد خالد المطري، دراسات في مدن العالم الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٩م .
- شاخت بوزورث، تراث الإسلام، القسم الأول من الجزء الأول الفصل الخاص بالتطورات الاقتصادية تعليم أم. أ. توك، .
- شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف القاهرة
- شوقي ضيف، عصر الدول والأمارات – الجزيرة العربية – العراق – إيران، ط٣، دار المعارف القاهرة، ص٢٦١.
- صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تحقيق حياة بو علوان، دار الطليقة،بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
- طه ندا، الأعياد الفارسية في العالم الإسلامي، مجلة كلية الأدب جامعة الإسكندرية، المجلد ١٧ سنة ١٩٦٣م.
- عبد الجبار محمد السامرائي، مجلة التراث الشعبي، تصدرها دار الشئون الثقافية العامة العراق العدد الفصلي ١٩٨٦م، دار الحرية.
- عبد السلام الترماثيني، الرق ماضيه وحاضرة، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٣، نوفمبر ١٩٧٩م،
- عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٦٧ه / ١٩٤٨ م.

- عبد العزيز شاه غلام حكيم الدهلوي، مختصر التحفة الاثني عشرية .
- عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى،
- عصام الدين عبد الرؤوف، الدولة العباسية، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٥م .
- عطية أحمد القوصي، السماحة في المجتمع الإسلامي وموقف الخلفاء والشعب منه، مقال بمجلة الدراسات الشرقية، العدد الثاني، يونيو سنة ١٩٨٤م .
- عمر فروخ، العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر البيض المتوسط منذ الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، ط٢، ١٣٨٦ه/١٩٦٦م، منشورات المكتب التجاري بيروت .
- فؤاد عبد المعطى، النوروز وأثره في الأدب العربي، طبعة دار الأحد البحري، ١٩٧٢م .
- كرستس، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحي الخشاب، عزام، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٧ م
- مايحة رحمة الله، الحالة الاجتماعية في العراق، بغداد ١٩٧٠، ص٥٠.
- محمد إقبال، ما وراء الطبيعة في إيوان لشاعر باكستان الأكبر، نقله عن الفرنسية، حسين مجيب المصري،
- محمد حسن العمادي، خراسان في العصر الغزنوي، إربد مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، الأردن ١٩٩٧م .
- محمد ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، مكتبة دار التراث، ط٥، ١٩٨٥م .
- محمد عبد الحي شعبان، الثورة العباسية، ترجمة عبد المجيد حسين القيسي، دار الدراسات الخليجية .
- مصطفى عباس الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٢م.